مَظَاهِرُ التَّجْدِيْدِ فِي المُعْجَمِ العَرَبِيّ فِي العَصْرِ الحَدِيْثِ

النَّقْدُ وَالاسْتِدْرَاكُ مِثَالاً

Aspects of Relexification in the Arabic Lexicon in the Modern Time

أ.د. أحْمَد هَاشِمُ السَّامَرَّائِيْ

جامعة نزوى

كلية العلوم والآداب . قسم اللغة العربية

سلطنة عمان

Prof. Dr. Ahmad H. Al-Samarraei

Arabic Department

College of Sceinces and Arts

Nazwa University . Oman

a.alsamrai@unizwa.edu.om

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

ملخص البحث

ظهرت في العصر الحديث دراسات جديدة ترمي إلى تصحيح مسار المعجم العربي، فمنها ما كان عامًّا، أي: يشمل المعجم كلَّه، ومنها ما تناول زاوية من زواياه، كالتصحيح والنقد والتكملة وغيرها، وازدادت هذه الموجة شيئًا فشيئًا نظرًا إلى حاجة المجتمع إلى ما يسدُّ النقص الذي يعاني منه، ولاسيَّما أنه يعيش في عصر الثورة العلمية بمختلف فروعها، وسرعان ما صارت هذه الموجة ظاهرة لافتة للنظر. ومن أجل هذا شرعت في الكشف عن جانب من جوانب هذه الظواهر، فوسمت بحثي بـ (مظاهر التجديد في المعجم العربي في العصر الحديث ـ النقد والاستدراك مثالاً)، اقتصرت دراستي على النقد والاستدراك على المعجم العربي، لأمور:

١. سعة الدراسات الحديثة في هذا الميدان، ممَّا يدفع بمثل هذه الدراسات إلى الحجم الكبير .

٢. يعدُّ النقد والاستدراك من مظاهر التهذيب، وهو بعيد عن تسقيط ما قام به اللغويون القدماء.

٣. تشمل هاتان المسألتان المعجم جميعه، وهو ما يعطي فرصة للبحث والتنقيب.

اقتضت طبيعة البحث أن يكون مقسمًا على تمهيد ودراسة وخاتمة، وعلى النحو الآتي:

١. **التمهيد**: وخصصته لـ (نشأة الدراسات اللغوية)، فذكرت توطئة حول روافد الدراسات اللغوية وميدانها، ومراحل التأليف اللغوي) .

٢. **الدراسة**: وخصصتها لـ (مظاهر التجديد)، فاخترت عدَّة معاجم لتكون ميدان بحثي، وهي: (محيط المحيط، وقطر المحيط، وأقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، والمعجم التاريخي، والمعجم الكبير، والمعجم الوسيط).

٣. **الخاتمة**: وذكرت فيها أهم النتائج التي خرجت بها من هذا البحث.

ABSTRACT

In the modern era, new studies that pursed to correct the track of Arabic lexicon were conducted. Some of which were general, as it included the whole dictionary, while others dealt with parts of it, such as: correction, criticism, complementation, etc. This wave of studies continued to grow little by little according to the society's need of covering the shortage it suffered from, especially that it was experiencing the scientific revolution in all its varieties. Shortly this wave became eye-catching.

Therefore, I made my efforts to reveal a part of these aspects, and I entitled my research as: Aspects of Relexification in the Arabic Lexicon in the Modern Time, the study includes criticism and retractation in Arabic lexicon only, for a few reasons:

1. There are in Profusion modern studies in this field, enriching such studies.
2. Criticism and retractation are considered as forms of correction, that is far from disproving what the old linguists have done.
3. Criticism and retractation include the whole dictionary, that gives a chance to search and dig.

I devoted the study to (NashaatAldirasat Al logawia), and I provided a preface about the tributaries and fields of linguistic studies and to (Madaher Al Tajdeed), and I had chosen a number of dictionaries to be the field of my research: (Muheet Al Muheet, Quter Al Muheet, Aqrab Al Maward Fi FusahAlArabiawa Al Shawared, Al Mujam Al Tareekhi, Al Mujam Al Kabeer, and Al Mujam Al Waseet). Ultimately , it concludes with the most important results.

... المقدمة ...

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

انمازت الدراسات اللغوية العربية بوفرة المؤلفات المعجمية ممَّا أعطى للدارسين مساحة واسعة للبحث والدراسة والتحقيق، فأولى الدارسون المحدثون هذه المعاجم عناية كبيرة، فاختلفت ميادين بحثهم فيها، وهو ما زاد من حيوية هذه المعاجم، فضلاً عن أنَّ هذه الدراسات وما يماثلها من دراسات أخرى تكشف للقارئ ما في المعجم من كنوز ودرر، قد تكون خافية عليه فيما سبق.

وعلى الرغم من ثراء ما وفرته الدراسات الحديثة للمعجم، ظهرت موجة جديدة من الدراسات ترمي إلى تصحيح مسار المعجم، فمنها ما كان عامًّا، أي: يشمل المعجم كلَّه، ومنها ما تناول زاوية من زواياه، كالتصحيح والنقد والتكملة وغيرها، غير أنَّ هذه الموجة أخذت تزداد شيئًا فشيئًا، نظرًا إلى حاجة المجتمع إلى ما يسدُّ النقص الذي يعاني منه، ولاسيَّما أنه يعيش في عصر الثورة العلمية بمختلف فروعها، وسرعان ما صارت هذه الموجة ظاهرة لافتة للنظر.

ومن أجل هذا شرعت في الكشف عن جانب من جوانب هذه الظواهر، فوسمت بحثي بـ (مظاهر التجديد في المعجم العربي في العصر الحديث النقد والاستدراك مثالاً)، اقتصرت دراستي على النقد والاستدراك على المعجم العربي، لأمور:

١. سعة الدراسات الحديثة في هذا الميدان، ممَّا يدفع بمثل هذه الدراسات إلى الحجم الكبير.
٢. يعدُّ النقد والاستدراك من مظاهر التهذيب، وهو بعيد عن تسقيط ما قام به اللغويون القدماء.
٣. شمل هاتان المسألتان المعجم جميعه، وهو ما يعطي فرصة للبحث والتنقيب.

اقتضت طبيعة البحث أن يكون مقسماً على تمهيد ودراسة وخاتمة، وعلى النحو الآتي:

التمهيد: وخصصته ل (نشأة الدراسات اللغوية)، فذكرت توطئة حول روافد الدراسات اللغوية وميدانها، ومراحل التأليف اللغوي).

الدراسة: وخصصتها ل (مظاهر التجديد)، فاخترت عدَّة معاجم لتكون ميدان بحثي، وهي: (محيط المحيط، وقطر المحيط، وأقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، والمعجم التاريخي، والمعجم الكبير، والمعجم الوسيط)، الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج التي خرجت بها من هذا البحث.

وفي الختام هذا جهد المقل أضعه في خدمة علوم اللغة العربية، أرجو من الله العلي القدير أن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه المنتجبين...

... التمهيد ...

نشأة الدراسات اللغوية

توطئة

في ظلِّ هذا التطور الثقافي الذي تعيشه الأمصار الإسلامية، ولاسيَّما البصرة والكوفة، بدأت بوادر التأليف اللغوي، فكانت الدراسات اللغوية أسبق بالظهور من الدراسات النحوية، لأنَّ الحاجة إليها ماسَّة، حتَّى يمكن القول: إنَّ الدراسات اللغوية مرَّت بمراحل خلال سني عمرها، حتَّى ظهرت الدراسات النحوية[1].

اجتمعت مجموعة من الروافد التي مدَّت الحركة اللغوية العربية برصيد ثرٍّ، وحفَّزت الدارسين على العناية بها وبتدوينها، ولعلَّ من أهمها:

١. **ظهور اللحن**: إنَّ من أسباب ظهور اللحن اختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم، فضلاً عن دخول الموالي إلى البيوتات العربية، حتَّى ازدحمت بهم هذه البيوتات، وممَّا زاد من ذلك دخولهم إلى طبقة الجند، فاختلطت لغة الموالي المحلية بلغة العربي الفصيح، فما كان من العربي، حين يريد أن يتفاهم معهم، إلاَّ أن يخاطبهم بلغته المحلية، أو بلغة خليط من لغة العربي الفصيحة ولغة الأعجمي، على أنَّنا نجد مجموعة من العرب قد تعلموا الفارسية[2].

٢. **حُبُّ الطبقة الحاكمة للأدب**: تعدُّ الطبقة الحاكمة في كل زمان ومكان الداعم الرئيس للشعب، ويغلب على دولتهم ما يحبونه ويميلون إليه، ولذلك نرى

الطابع العام للدول مختلفًا، فيغلب على دولة ما الطابع العسكري، في حين يغلب على الدولة الأخرى الطابع الديني، وعلى الثالثة الطابع الثقافي، وفي هذا كله تتحكم الطبقة الحاكمة وتوجهاتها، وتروي لنا كتب التاريخ أنَّ المرحلة التي نشأت بها الدراسات اللغوية كانت مهيَّأة لذلك، إذ غلب على الحكام في ذلك الوقت الحبُّ الشديد للأدب والشعر، فقرَّبوا الشعراء والعلماء، وعقدوا لهم مجالسهم الخاصَّة، فظهرت حركة جمع دواوين القبائل والشعراء[٣].

٣. **ارتباط الدراسات اللغوية بالأدبية**: عند النظر في واقع اللغة العربية ودراساتها في تلك المرحلة، نجد أنَّ الدراسات اللغوية مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بالدراسات الأدبية، إن لم نقل: متحدة معها في النشأة، وخير ما يمثل هذا الاتحاد القرآن الكريم، إذ نزل بلغة العرب وأساليبهم وتراكيب ألفاظهم، ولمَّا تفاوت الناس في فهمهم لنصوصه، راح جملة من العلماء إلى تفسيره بما ورد في كلام العرب، وفي مقدمتهم ابن عباس، إلاَّ أنَّ هذه المحاولات كانت مقتصرة على غريب القرآن ومشكله.

٤. **التدوين العلمي**: ظهرت حركة التدوين العلمي واضحة جلية نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي، فصارت أشبه بالمهنة التي سخَّر ناس أنفسهم لامتهانها، فوضعت الأسس العلمية والمعرفية لكثير من العلوم، ولاسيَّما العلوم اللغوية، حتَّى إنَّ الدارس ليفتقد نشأة العلوم بعد هذا الزمن، إنَّما اقتصر على تطورها، ويمكن أن نشبِّه نشاط التأليف والتدوين بنشاط العرب في فتوح البلدان[٤].

يُعدُّ القرآن الكريم الحافز الأكبر لنشأة هذه الدراسات والعناية بها، فمن خلال رصد حركة التأليف اللغوي، ولاسيَّما المعجمي، نجد كتب (غريب القرآن) كانت

أسبق بالظهور، حتَّى توالت بعدها الدراسات اللغوية المختلفة، ككتب النبات والحيوان وغيرها، وممَّا يدلُّ على أنَّ هذه الدراسات بدأت لخدمة القرآن الكريم أمور هي:

١. روي عن العرب أنَّهم كانوا يستفسرون عن معاني مفردات قرآنية فمن ذلك ما روي عن ابن عباس، ولعلَّ كتاب (سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس)[٥] خير دليل عليه.

٢. كثرة الكتب التي أُلِّفت في القرآن الكريم وغريبه ولغاته وموضوعاته في أوائل مرحلة التأليف اللغوي.

٣. نشأت العلوم العربية الأولى كالنحو واللغة والتفسير والفقه وغيرها لخدمة القرآن الكريم[٦].

لم يكن هذا الاهتمام لولا نظرة العربي إلى لغته بقدسية ورفعة، فأمَّة العرب اشتهرت بها، قال الجاحظ: «فأمَّا سكان الصين فهم أصحاب السبك والصياغة ... فاليونانيون يعرفون العلل ... وكذلك العرب لم يكونوا تجَّارًا ولا صنَّاعًا ولا أطبَّاء ولا حُسَّابًا ... فحين حملوا حدهم ووجَّهوا قواهم إلى قول الشعر وبلاغة المنطق وتشقيق اللغة وتصاريف الكلام ... بلغوا في ذلك الغاية»[٧].

مراحل التأليف اللغوي

ولكي يقف القارئ على المراحل التي مرَّت بها هذه الحركة، أُورد ما ذكره أحمد أمين في قوله: «كان طبيعيًّا أن يسير جمع اللغة في مراحل ثلاث: **المرحلة الأولى**: جمع الكلمات حيثما اتفق ... **المرحلة الثانية**: جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد ... **المرحلة الثالثة**: وضع معجم يشمل كلَّ الكلمات العربيَّة على نمط

خاصٍّ، ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة»[٨]. ولكن هل كانت المرحلة من هذه المراحل تنتهي بظهور المرحلة التي بعدها؟

من الوجهة النظرية للتسلسل الزمني تكون هذه النتيجة حتمية، ولكن من التجربة العملية والبحثية في الدراسات اللغوية التي بين أيدينا أو ما وصلنا من فهارس للدراسات اللغوية منذ النشأة لا نجد هذه الحتمية. إذًا كيف سارت هذه المراحل؟ بدأت الدراسات في هذه المراحل بحسب حاجة المجتمع إليها، فضلاً عن التطور الطبيعي للتأليف، وعلى النحو الآتي:

المرحلة الأولى

وهي مرحلة اقتصرت على جمع المشتت من الأفواه وتدوينه في الصحف، وهو ما اصطلح عليه بـ (التأليف المختلط)[٩]، إذ إنَّ العالم «يرحل إلى البادية، يسمع كلمة في المطر، ويسمع كلمة في اسم السيف، وأخرى في الزرع والنبات، وغيرهما في وصف الفتى أو الشيخ، إلى غير ذلك، فيدوِّن ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب، إلاَّ ترتيب السماع»[١٠]. تختلف هذه المرحلة عن المرحلتين اللاحقتين في منهجها وأسلوب بحثها، لأنها تتسم بالعفوية وعدم الدقة، وهذه من أمارات النشأة في كل شيء، ويمكن تقسيم هذه المصنفات على قسمين[١١]:

١. كتب معاني القرآن ومجازه وتأويله: ركَّزت هذه المصنفات على دراسة آي القرآن الكريم وبيان ما يراه المؤلف من مشكلات لغوية ونحوية وصرفية، فضلاً عن شرح غوامض الكلمات وغريب المفردات، وقد شاع بين العلماء التأليف في هذا الجانب، ومنهم: واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ)، وأبو جعفر الرؤاسي (ت ١٨٠هـ)، ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ)، والكسائي (ت ١٨٩هـ) وغيرهم.

فالمتطلع إلى ما وصلنا من هذه المؤلفات يجد أنَّ المنهج المتبع في التأليف غير مستقر، أو قل: لا نجد اثنين متفقين في المنهج، فضلاً عن أنَّ المادَّة العلمية التي تضمنتها هذه المصنفات ليست خاصَّة بعلم من العلوم، وإنَّما هي عامة لكلِّ ما يطلبه منهج البحث القرآني.

٢. كتب النوادر والأمالي: وهنا نجد اللغوي أو الأديب يجمع ما يراه نادرًا في كلام العرب في مصنف واحد، أو يحكي على تلاميذه من حفظه ما سمعه عن العرب، فنجد فيها الموضوعات المختلطة، كمسائل اللغة والنحو وسرد أخبار العرب وأنسابهم، ومسائل في العروض والقافية وغيرها من العلوم، وورد عن اللغويين مجموعة من هذه المؤلفات، ومنهم: أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٧هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، وأبو عبد الله القاسم بن معن المسعودي الكوفي (ت ١٧٥هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) وغيرهم.

المرحلة الثانية

ومع استمرار حركة التأليف اللغوي في مرحلته الأولى، وجد جماعة من اللغويين الحاجة ماسة إلى التجديد في التأليف، وهو نوع من التطور في الدرس اللغوي، فظهرت رسائل الموضوعات المستقلة، وهو نوع من اتجاه «أهل اللغة إلى التبويب والتصنيف والتقسيم، وردِّ النظير إلى النظير، كلٌّ بطريقته الخاصة التي يراها، فمنهم من صنَّف المادَّة اللغوية بحسب الموضوعات ... ومنهم من اتجه إلى الشعر الجاهلي أو الإسلامي، يدوِّنه ويرويه ويشرح مفرداته الصعبة، ومنهم من اهتم بتسجيل بعض الظواهر الخاصة التي لاحظها [كذا] في بعض القبائل»[١٢].

لم يختلف الدافع في هذه المرحلة عن الدافع في المرحلة الأولى، فما زال القرآن الكريم الحافز الأكبر للغويين في ولوج هذا الميدان، لذلك نجد كتب غريب القرآن ولغاته شائعة في تلك الحقبة، ويمكن تقسيم فنون الدراسات على[١٣]:

١. كتب الغريب، وتشمل كتب: غريب القرآن، وغريب الحديث، وغريب اللغة.
٢. كتب اللغات، وتشمل كتب: لغات القرآن، ولغات القبائل، ولحن العامة.
٣. كتب الأمثال.
٤. كتب الأصوات، وتشمل كتب الهمز والحروف والوقف والابتداء والأصوات.
٥. كتب الحيوان، وتشمل كتب خلق الإنسان والحشرات والطير والإبل والغنم والخيل والوحوش.
٦. كتب البلدان والمواضع.
٧. كتب الإفراد والتثنية والجمع.
٨. كتب الأبنية، وتشمل كتب المصادر والصيغ الخاصة بالأفعال وكتب الأفعال عامَّة، وأمثلة الأسماء، الأبنية.
٩. كتب الصفات.

إذًا «توجَّهت هذه المرحلة بكتب تؤلف في الموضوع الواحد، فألف أبو زيد كتابًا في المطر، وكتابًا في اللبن، وألف الأصمعي كتبًا كثيرة صغيرة، كل كتاب في موضوع، فكتاب في النخل والكرم، وكتاب في الشاء، وكتاب في الإبل، وكتاب في أسماء الوحوش، وكتاب في الخيل، وكتاب في النبات والشجر إلخ»[١٤].

والذي يبدو لي أنَّ اللغويين في القرن الثاني الهجري، لَمَّا شاعت دراسات المرحلة الأولى، وجدوا الناس مقبلين على طلب كل ما يتعلق باللغة، في المسجد والسوق والبيت وغيرها، فحين يجلس اللغوي في حلقة الدرس يدرِّس ما تيسر من آي

القرآن، حتَّى يصل إلى قوله تعالى ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [سورة المدثر، الآية: ٥١]، يواجه بسؤال من الحاضرين عن معنى قوله: «قَسوَرة»[١٥]، وعليه يرى ضرورة في وضع رسالة في لغات القرآن، ومثل هذا في غريبه وغريب الحديث، والنبات، والحيوان وغيرها، وبالنتيجة تكون هناك دوافع أدَّت إلى ظهور هذا النوع من الدراسات، فليست خدمة القرآن الكريم وحدها أدَّت إلى ذلك، وإنَّما حاجة الناس إلى مثل هذه الدراسات، والدليل على ذلك كثرة هذه المؤلفات، ونحن نعلم أن كثرة المادة دليل على شيوعها في السوق.

المرحلة الثالثة

أخذت الدراسات اللغوية في هذه المرحلة شكلاً جديدًا يختلف عن المرحلتين السابقتين، إذ انتقلت الدراسات من الرسائل الصغيرة إلى المؤلفات الكبيرة، وذلك بـ «وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية، على نمط خاص، ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة»[١٦].

يمثل ظهور مثل هذه الدراسات انتقالاً في الدرس اللغوي، سواء كان نوعًا أم حجمًا، إذ انتقل المتلقي من الاطلاع على رسائل صغيرة خاصَّة بموضوعات محددة إلى دراسات كبيرة تحوي كل ما يحتاجه القارئ، فضلاً عن أنَّ هذه المرحلة تمثل ظهور منهج بحثيٍّ جديد، إلاَّ أنَّ ما لا يمكن إغفاله أنَّ مثل هذه الدراسات اعتمدت اعتمادًا كبيرًا على الرسائل السابقة في المرحلتين الأولى والثانية، إذ يمكن أن نعدَّها المصادر التي اعتمدها اللغويون لبناء هذا العمل الكبير، لأنَّ جميع روَّاد المعجم العربي في هذه المرحلة هم «أولئك العلماء الذين كتبوا وألفوا في ناحية من نواحي اللغة، أو ساعدوا غيرهم في ذلك بالنقل أو بالرواية أو بالتحشية أو بالتعليق، أو بشرح بعض المسائل اللغوية، أو بالاستدراك على من سبقهم من المؤلفين»[١٧].

لم يختلف الدافع إلى ظهور مثل هذه الدراسات عن الدافع في المرحلتين الأولى والثانية، إلاَّ أنَّ هناك مجموعة من الدوافع اجتمعت أيضًا، ولكن يبقى القرآن الكريم وخدمة نصِّه الدافع الأول، فضلاً عن خدمة المجتمع والخوف على اللغة من الذهاب، قال ابن خلدون: «فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث، فشمَّر كثير من أئمة اللسان لذلك، وأملوا فيه الدواوين»[١٨].

يُعدُّ الخليل بن أحمد الفراهيدي رائد هذه المرحلة، في وضعه كتاب (العين)، إذ يمثل هذا الكتاب طفرة نوعية في التأليف اللغوي، فضلاً عن عبقرية جبارة وعقلية فائقة، يمكن حصر هذا الإبداع في أمرين:

١. وضع الخليل كتابه العين في زمن لم يسبق بمثل هذه الدراسة، فيعدُّ وضع معجم يجمع اللغة كاملة أمرًا مستحيلاً، أو قل أشبه بالمعجزة، لذلك مثَّل ظهور العين صدمة كبيرة لدى اللغويين، ممَّا حدا بجماعة منهم أن يدعي أنَّه ألَّفه[١٩].

٢. وضَعَ الخليل للعين منهجًا في التأليف، قام على أساس مخارج الحروف، وهذا بحدِّ ذاته أعجوبة تدلُّ على عبقرية الخليل، التي لم يسبقه أحد بها.

وبعد الفراهيدي بدأت الدراسات اللغوية بالظهور، في محاولة منها لجمع مفردات اللغة وشرحها وبيان معانيها، فأخذت أشكالاً مختلفة في التأليف، «فمنهم من اختار جمع المواد حسب [كذا] الألفاظ، مرتبًا إياها ترتيبه الخاص، ومنهم من رأى جمع المواد حسب [كذا] الموضوعات، مبوبًا لها حسب [كذا] المعاني، واختلفت لدى الطائفتين طرق [كذا] الترتيب، فذهبت الطائفة الأولى إلى ترتيب الألفاظ على مخارج الحروف، أو على الحروف الهجائية، ناظرة إلى الحرف الأول للفظة، أو الحرف الأخير لها، أو كليهما، وذهبت الطائفة الثانية إلى الألفاظ الخاصة بالموضوع المعقود

له الباب، والاستشهاد لكل منها أو لبعضها، أو إيراد النصوص الشعرية الخاصَّة بالباب، واستخراج الألفاظ منها وشرحها»[٢٠].

بعد أن ثبت لنا أن الفراهيدي أوَّل من وضع أسس المدرسة المعجمية، فإنَّ هذا يدلُّ على تأخُّر ظهورها، وقد أرجعه الدكتور إميل بديع يعقوب إلى عدَّة أسباب بقوله «ولم يعرف العرب التأليف المعجمي قبل العصر العباسي، لأسباب عدَّة أهمها:

١. انتشار الأمية بينهم، فالذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة قبل الإسلام قليلون.
٢. طبيعة حياتهم الاجتماعية القائمة على الغزو والانتقال من مكان إلى آخر.
٣. إتقانهم للغتهم، فقد كانت العربية عندهم لسان المحادثة والخطابة والشعر، وكان إذا احتاج أحد إلى تفهُّم معنى لفظة استغلق عليه، لجأ إلى مشافهة العرب أو إلى الشعر»[٢١].

والذي يبدو لي أنَّ في هذه الأسباب نظرًا، لذلك أودُّ مناقشتها، ولاسيَّما السببان الأول والثاني، فحين رأى الدكتور الفاضل أنَّ الأميَّة سبب في تأخُّر وضع المعجم فاته أنَّ العرب، ومنذ انتشار الدعوة الإسلامية، انكبوا على تعلُّم القراءة والكتابة، لتتيح لهم فهم أمور دينهم، ولعلَّنا نعلم أنَّ أكثر من قرن ونصف بين الدعوة الإسلامية وظهور المعجم العربي كفيل في ردِّ هذا السبب، لأنَّ المدارس ودور العلم قد انتشرت انتشارًا كبيرًا في نهاية العهد الراشدي وبداية العهد الأموي، فضلاً عن ذلك فإنَّ انشغال العرب بالغزو والانتقال من مكان إلى مكان ليس سببًا منطقيًّا، لأنَّنا نعلم أنَّ المجتمع العربي بخاصة والإسلامي بعامة، كان منقسمًا على فئات، فئة للقتال وفئة للسياسة وأخرى للقضاء ورابعة للعلم وهكذا، فليس كما يتوقع جماعة أنَّ المجتمع في ذلك الوقت كان منشغلاً بالجهاد في سبيل الله والفتوحات الإسلامية، ولو كان كذلك لَمَا سارت الدولة وانتظمت الحياة.

أمَّا مسألة إتقانهم اللغة فهذا أمر مقبول، لأنَّ العربي في عصوره الأولى لم يكن به حاجة إلى قرطاس يُعلِّمه اللغة، حتَّى اختلط بالأقوام الأعاجم في العراق والشام ومصر وغيرها، فاختلط لسانه وابتعد عن بيئته العلمية واللغوية، فرأى جماعة من العلماء الحاجة ماسَّة إلى جمع اللغة، فهذا دافع من دوافع الجمع، ولكن لماذا تأخر ظهور المعجم؟

من الطبيعي أنَّ كلَّ علم ينشأ في بدايات غير منسقة، فإذا لاقى عناية الدارسين تظهر عليه علامات التطور في المنهج والمادَّة، وترتبط عناية الدارسين بحاجة المجتمع إليه، فلمَّا التقت الحاجتان، حاجة المجتمع لاختلاط اللسان، وحاجة خدمة القرآن الكريم، اعتكف الدارسون على هذا العلم، فبدأ يتطوَّر شيئًا فشيئًا حتَّى وصل إلى مرحلته الأخيرة، ولكي نكون منصفين، فإنَّ المدَّة التي قضتها الدراسات اللغوية في مراحلها الثلاث مدَّة لا تعدُّ طويلة، قياسًا بالكثير من اللغات التي قضت دراساتها اللغوية مئات السنين حتى وصلت إلى مرحلة المعجم.

هذه أهم ملامح مراحل التأليف اللغوي، إذ وقفنا فيها على الخط البياني للتأليف، ابتداءً من المختلط، وصعودًا إلى التخصص، وانتهاءً بالتأليف المعجمي، غير أنَّ حصر التأليف اللغوي بهذه المراحل قد عارضه جماعة من المحدثين، مستندين إلى أنَّ الخليل أسبق طبقة من أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة، فإذا كان الخليل قد ألف العين في آخر حياته، فهذا يعني أنَّ التأليف في المرحلة الثانية تزامن مع التأليف في المرحلة الثالثة(٢٢).

والذي يبدو لي أنَّ الحجة التي ذكرها أصحاب هذا الرأي غير ملزمة، فلو عُدنا إلى المراحل وتتبعنا مناهج التأليف فيها لوجدنا أنَّ المرحلة السابقة لا تنتهي بابتداء المرحلة اللاحقة، وهو ما ذكرته سابقًا، فمثلاً حين كانت المرحلة الأولى مرحلة

تأليف مختلط، وُضِع فيها كتب معاني القرآن والنوادر، نجد أنَّ هذا الخط من التأليف ظلَّ سائرًا على خطاه حتَّى بعد المرحلة الثالثة، وأوضح ما يمثل هذا كتب معاني القرآن للفراء، والأخفش، والزجاج وغيرهم، وقد ظهرت في وقت متأخر، أي: بعد ظهور مؤلفات المرحلة الثالثة.

الدراسة

نقد المعجم العربي وتصحيحه

اقترنت الدراسات المعجمية العربية في العصر الحديث بالنهضة العلمية والأدبية التي شهدتها الدول العربية والإسلامية، وأبرز ما يمثل هذه النهضة ظهور الطباعة، وهو ما دعا اللغويين إلى تكثيف جهودهم العلمية في قراءة كتب التراث وتصحيحها وشرحها واختصارها، ولاسيَّما كتب معاجم اللغة، فانقسم الدارسون على مدرستين، مدرسة القديم التي أخذت على نفسها الدفاع عن القديم والدعوة إلى التمسك به وعدم الانجرار وراء الدعوات المنادية إلى التجديد، ومدرسة التجديد التي أخذت على عاتقها حمل لواء التجديد، على الرغم من المعارضات الشديدة.

وفي ظلّ الصراع بين القديم والجديد ظهرت مجموعة من الكتب التي وضعها أصحاب مدرسة التجديد، وهي ترمي إلى تجديد المعجم العربي، فتعددت مسالكها[٢٣] واختلفت مراميها وتنوعت نواياها، فمنهم من بالغ في منهجه حتى خرج عن المعتاد، ومنهم من أنصف فيه، فقام منهجه على البناء القويم.

ولكي يقف القارئ على مظاهر التجديد في معاجم المدرسة الثانية، أوردها بحسب سنوات نشرها، وهي:

معجم محيط المحيط، لبطرس البستاني ١٨٨٣م

يعد معجم محيط المحيط أقدم معجم ظهر لنا يحمل بين صفحاته ثورة التجديد على المعجم العربي القديم، فهو «أوَّل معجم أنتجه اليسوعيون ... وكان ذلك في مفتتح النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إذ فرغ من طبع الجزء الأول في ٢١ تموز ١٨٦٦م ١٢٨٣هـ، ومن تبييض الجزء الثاني في ١٢ تموز ١٨٦٩م ١٢٨٦هـ»[٢٤]. وضع الأب بطرس البستاني معجمه على أساس تصحيح ما في التراث من غلط وإكمال ما فيه من نقص، إذ قال: «فهذا المؤلف يحتوي على ما في محيط الفيروز آبادي، الذي هو أشهر قاموس للعربية، من مفردات اللغة وعلى زيادات كثيرة، فقد أضفت إلى [كذا] [٢٥] أصول الأركان فيه فروعًا كثيرةً وتفاصيل شتَّى، وألحقتُ بذلك اصطلاحات العلوم والفنون وكثيرًا من المسائل والشوارد وغير ذلك مما يتعلق بمتن اللغة، وذكرت كثيرًا من كلام المولَّدين وألفاظ العامة، منبِّهًا في أماكنها على أنها خارجة عن أصل اللغة»[٢٦]. إنَّ ما ذكره البستاني في نصه مهمٌّ جدًّا لمعرفة توجهاته والخطوط التي سار عليها في وضع محيطه، وبعد قراءة دقيقة لكلامه نستنتج الأمور الآتية:

١. حاول سدَّ النقص الموجود في معجم (القاموس المحيط) للفيروز آبادي.
٢. زيادة مصطلحات الفنون والعلوم، التي يرى أنَّ الدارس به حاجة إليها.
٣. ذِكْر الكثير من المسائل والشوارد وغير ذلك مما يتعلق بمتن اللغة.
٤. ذكر الكثير من كلام المولَّدين وألفاظ العامة.

نلحظ من هذه الأمور أنَّ التجديد حاصل فيها، إذ سلك طريق التصحيح والنقد لما وجده في القاموس المحيط، وكان من نتائج التصحيح والنقد أن زاد مجموعة من الألفاظ والمصطلحات، ولبيان مظاهر التجديد سأدرس هذه الأمور مع الاختصار.

الأمر الأوَّل: يتمثَّل نقد البستاني لعبارة الفيروز آبادي في أنَّه زاد عليها من كلام اللغويين وأنقص غيرها، غير أنَّه حاول الحفاظ على عبارة الفيروز في مواضع كثيرة، فتتحصل لدينا ثلاث صور، هي:

١. الحفاظ على عبارة القاموس، فمن ذلك قوله «(البَرْغَزُ، والبُرْغُزُ، والبُرْغُوزُ، البِرْغَازُ) ولد البقر أو إذا مَشَى مع أُمِّه، و(البُرْغُزُ): السيِّئ الخلق، أو هذه تصحيفه، والصواب (بُزْغُرٌ)»[٢٧]، وورد هذا الكلام في القاموس، قال الفيروز آبادي «(البَرْغَزُ)، بالغين المعجمة كـ: جَعْفَر وقُنْفُذ وعُصْفُور وطِرْبَال: ولد البقر أو إذا مَشَى مع أُمِّه وهي بهاء، وكـ: قُنْفُذ: السيِّئ الخلق، أو هذه تصحيفة، والصواب (بُزْغُرٌ)»[٢٨].

٢. حذف ما رآه زيادة، ويمكن إجمال الحذف من القاموس بما يأتي:

أ. تمثيل الألفاظ بضبطها، سواء بالحركات أم بما يوافقها من الألفاظ المشهورة، فيحاول البستاني حذفها واستبدالها بما يوافقها من اللفظة المفسرة، من ذلك قول الفيروز آبادي «(الفِلِزُّ)، بكسر الفاء واللام وشَدِّ الزاي، وكـ: هِجَفٍّ وعُتُلٍّ: نُحَاس أبيض تُجْعلُ منه القدور المُفْرَغة، أو خُبثُ الحديد»[٢٩]، في حين قال البستاني «(الفِلِزُّ، والفِلَزُّ، والفُلُزُّ): نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغة، أو هو خبث الحديد»[٣٠]، فنجده حذف عبارة (بكسر الفاء واللام وشَدِّ الزاي، وك: هِجَفٍّ وعُتُلٍّ).

ب. الردُّ على الجوهري، قال الفيروز آبادي: «و(التَّخَاجُؤُ): التَّبَاطُؤُ،ووهِمَ جَوْهَرِيٌّ في (التَّخَاجِئِ)، وإنَّما هو (التَّخَاجِي)، بالياء،إذا ضُمَّ هُمِزَ وإذا كُسِرَ تُرِكَ الهَمْزُ»[٣١]، في حين قال البستاني «و(تَخَاجأَ الرجُلُ تَخَاجُؤًا): تباطأ»[٣٢]، فموضع الحذف واضح.

ج. أسماء البقاع، قال الفيروز آبادي: «(أجأ): جَبَلٌ لِطَيِّءٍ وبزِنَتِه و. بِمِصْرَ ويُؤَنَّثُ فيهما. وكَجَعَلَ: هَرَب»[٣٣]، في حين قال البستاني «(أجَأَ يَأْجَأُ أَجْأً): هَرَبَ»[٣٤].

د. أسماء الأشخاص والقبائل، قال الفيروز آبادي في مادة (أ س د): «و (الأُسْديُّ) بالضم: نبات، وكأَمير[٣٥]: سَبْعَةٌ صَحابِيُّونَ وخَمْسَةٌ تابعيُّونَ. وكزُبَيْر: ابنُ حُضَيْر وابنُ ثَعْلَبَةَ وابنُ يَرْبوعٍ وابنُ ساعِدَةَ وابنُ ظُهَيْر وابنُ أبي الجَدْعاءِ،ويُعرَفُ بعَبْدِ الله،وابنُ أخي رافِعِ بنِ خَديجٍ وابنُ سَعْيَةَ أو هو كأَمِيرٍ: صحابِيُّونَ. وعُقْبَةُ بن أُسَيْدٍ: تابِعِيٌّ، و(أُسَيْدٌ)، في (س ي د)»[٣٦]، في حين قال البستاني «و(الأُسْديُّ): نبات، وقيل: كالأَسْدي، ونبات تصحيف ثياب، (الأُسَيْدٌ)، اطلب (س و د)»[٣٧].

هذه أهم ملامح الحذف في كتاب محيط المحيط، ولكن ما يمكن قوله هنا: إنَّ البستاني لم يسر على منهج واحد في الحذف، إذ قد نجد أسماء الأشخاص والأماكن في محيطه، من ذلك قوله: «و(فِنْدٌ): جبل بين الحرمين، واسم أبي زيد، مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، كان أحد المغنِّين المحسنين»[٣٨].

٣. زيادة مجموعة من الألفاظ القياسية وغير القياسية التي أخذها من المعجم العربي، من ذلك قوله في مادة (صلت): «و(جاء بلبَنٍ يَصْلِتُ، ومَرَقٍ يَصْلِتُ)، إذا كان قليل الدَّسْم، و(صلَتَّهُ في القَدَحِ)، إذا صببتُهُ»[٣٩]، فنجده يذكر (يَصْلِتُ) و(صَلَتَّه) وهذه الألفاظ غير موجودة في القاموس المحيط، أو زيادة الألفاظ المعربة، من ذلك قوله: «(التَّخْتُ): وعاءٌ من خشب أو نسيج يُصان فيه الثياب ... وغيره: معربُ: (تَخْتَه)، بالفارسية، ومعناهُ: خَشبٌ»[٤٠]، في حين قال الفيروز آبادي: «(التَّخْتُ): وعاء يصان فيه الثياب»[٤١].

الأمر الثاني: يعدُّ الأمر الثاني واحدًا من أساسيات (وضع معجم حديث)، إذ نستطيع أن نقول: إنَّ محيط البستاني أسس لخطين متوازيين هما: النقد والتحديث، وهما ما شغلا الدارسين بعده، فحاولوا فصل التحديث عن النقد، فظهرت معاجم خاصَّة بالمصطلحات الحديثة، وكأنَّ البستاني رأى أنَّ المعجم يجب أن يشمل القديم والحديث لذلك دمج بين الخطَّين، ومن المصطلحات العلمية التي أوردها في محيطه قوله: «(الصَّلاَبَةُ) عند بعض الحكماء من الكيفيات الملموسة، ويقابلها: (اللِيْنُ)، وعند الأطباء: ورمٌ متداخِلٌ في العُضُو غير مُؤلِمٍ، وكثيرًا ما يَلْتَبِسُ بالسرطان»[٤٢].

معجم قطر المحيط، لبطرس البستاني أيضًا

وضع بطرس البستاني معجمًا آخر بعد محيطه، إذ «فرغ من تأليفه سنة ١٨٦٩ م ١٢٨٦هـ، أي: مع الجزء الثاني من المحيط»[٤٣].

لم يكن قطر المحيط مختصَرًا لمعجمه الأوَّل محيط المحيط، وإنَّما خالفه في المنهج، ولكن يبقى هذا المعجم من كتب التجديد، فقال في سبب تأليفه: «فلمَّا كان إحياء اللغة العربية التي هشَّمتها أيادي الزمان، وحال دون محيَّاها الساطع ودونَ أهلِها براقعُ الهجر والجهل والنسيان فرضًا[٤٤] على كلِّ من نطق بالضاد، ... رأينا أن نضعَ فيها هذا المؤَلَّف على وجهٍ هيِّنِ المراس سهل المأخذ، ليكون للطلبة مصباحًا يكشف لهم عمَّا أشكل عليهم من مفردات اللغة»[٤٥].

حاول البستاني ترشيق المادّة اللغويَّة في معاجم التُّراث اللغوي العربي، فحذف منها جزءًا كبيرًا، وتصرَّف في مادَّة أخرى، وزاد على المعجم ما رآه استدراكًا عليه، ويمكن تحديد هذه المظاهر بالآتي:

١. **الحذف**: وهو مظهر شائع في معجم قطر المحيط، فتعددت مواضع الحذف ومصادره، فمنها ما حَذَفه من المعجم، ومنها ما حَذَفه من معجمه محيط المحيط، ولا يعنينا الحذف الثاني بقدر ما يعنينا الحذف الأول، ونورده في الأمثلة الآتية:

حذف الكلام على الحروف: اعتاد المعجم العربي أن يصدّر مؤلّفُهُ كلَّ حرف بكلام على الحرف ومزاياه الصوتية، وهو ما دعا البستاني إلى حذفه، لأنَّه لا يرى ضرورة لذكره، ففي باب الباء مثلاً بدأ بقوله: «(الباء) هي الحرف الثاني من حروف المباني، وهي في حساب الجُمَّل عبارة عن (٢)»[٤٦].

حذف مجموعة من المعاني: كما هو معلوم لدى الدارسين في الحقل المعجمي أن المعجم العربي ينماز بوفرة المعاني في الجذر الواحد، وهذا ما دعا مجموعة من المجددين إلى عدّها إثقالاً للمعجم، فارتأوا ترشيقه بحذف مجموعة من هذه المعاني، وهذا ما نلحظه عند البستاني، إذ قال في مادة (أزب): «(الإزْبُ) القصير الغليظ، والداهية اللئيم، والذميم، والدقيق المفاصل الضاوي، لا تزيد عظامه وإنَّما زيادته في بطنه وسُفْلته، و(أزِبَتِ الإبِلُ تَأْزَبُ أَزَبًا): لم تجترَّ، و(أَزَبَ الماءُ يأزِبُ أَزْبًا): جرى، و(تأَزَّبُوا المال بينهم): اقتسموا، و(الأَزْبَةُ): الشدَّة والقحط، و(المِئْزَاب): المِثْقَبُ، ج: (مآزيب، وميازيب)»[٤٧]، وإذا عُدْنا إلى المعجم العربي في المادَّة نفسها، فنجد مثلاً ابن منظور يذكر دلالات أخرى، وهي: (رجل أَزِبٌ وآزِبٌ): طويلٌ،و(إزابٌ): ماءٌ لبَني العَنبر، و(أَزَبٌّ): رجل من الجِنِّ، و(الأَزَبُّ): الكثيرُ الشَّعَرِ[٤٨].

حذف الصيغ

يعدُّ المعجم العربي مصدرًا مهمًّا من مصادر الصيغ الصرفية، ففي كلّ مادَّة فيه نجد مؤلفه يودع مجموعة كبيرة منها، وبحسب ما وجده في كلام العرب،

ممَّا درَّ الفائدة على دارسي آداب العربية، غير أنَّ المجدّدين يرون في كثير من هذه الصيغ إثقالاً للمادة المعجمية، فذهبوا إلى حذفها، وهو ما سار عليه البستاني، ففي موازنة بين نصَّين لمادة واحدة بين تاج العروس وقطر المحيط نلحظ هذا واضحًا، إذ ذكر الزبيدي في مادَّة (خطأ) الصيغ الآتية: (الخَطْءُ، والخَطَأُ،والخَطَاءُ، وأَخطَأ، وإخْطَاءً، وخَاطِئَةً،وَتَخَطَّأَ،وخَطِئَ، والخَطِيئَة، والخِطْء، وخَطَايَا، وخَطَّأَه، وتَخْطِئَةً، وتَخْطِيئًا، ويَخْطَأُ، وخِطْأَةً، والمُخطِئُ، والخاطئُ، والخَواطِئ،وتَخَاطَأْه، والمُسْتَخْطِئَةُ،واستخطَأَتِ، والخَطِيطة، ويُخطئُها، وخُطِّئَ، وخَطَّاءٌ،وخُطْآت،والمُتَخَطَّئَات)[٤٩]، في حين ذكر البستاني الصيغ الآتية: (خَطَأَ، وتَخْطَأُ، وخَطْءًا، وخَطِئَ، يَخْطَأُ، وخِطْءًا، وخِطْأَةً، وخَطَّأَ، وتَخْطِيْئًا، وتَخْطِئَةً، وأَخْطَأَ، وإخْطَاءً، وخَاطِئَة، وأخْطَيْتُ، وتَخَطَّأَ، وتَخَطُّؤًا، وتَخَاطَأَ، وتَخَاطُؤًا، والخَاطِئُ، والخَاطِئة، وخَطَأَة، وتُخْطِئُ، وخَوَاطِئ، والخَطِيئَة، وخَطِيئات، وخَطايا، والمُسْتَخْطِئة)، وبالنتيجة نجده حذف تسع صيغ، وهي: (الخَطَاءُ، والمُخطِئُ،واستخطَأَتِ، والخَطِيطة، ويُخطئُها، وخُطِّئَ، وخَطَّاءٌ،وخُطْآت،والمُتَخَطَّئَات)، وزاد على صيغ الزبيدي ثماني صيغ، وهي: (وتَخْطَأُ، وأخْطَيْتُ، وتَخَطُّؤًا، وتَخَاطُؤًا، والخَاطِئة، وخَطَأَة، وتُخْطِئُ، وخَطِيئات).

حذف أسماء الأعلام والألقاب

لم يكن المعجم العربي مقتصرًا على تفسير دلالة الكلمات واستعمالاتها، بل نجد فيه ورودًا لأسماء الأعلام كالأشخاص والأماكن والقبائل وغيرها، وهذا ما أعطى المادة اللغوية حجمًا آخر يزاد على حجمها، وهو ما لم يرُق للمجددين، فرأوا أنَّ هذه المادة غير ضرورية ويجب رفعها من المعجم، وسار على هذا المنهج بطرس البستاني في معجميه: محيط المحيط، كما سبق، وقطر المحيط، ويمكن للدارس أن يجد هذا واضحًا حين يبحث عن عَلَم ورد في لسان العرب أو تاج العروس في قطر المحيط.

حذف اللغات واللهجات[٥٠]

يعدُّ المعجم العربي سجلاً ثرًّا للغات واللهجات فالواقف عليه يجد في أغلب مواده ما يؤيد هذا، فأكثَرَ أصحاب المعاجم من ذكر اللهجات العربية واللغات الأعجمية بقسميها: المعرب والدخيل، وهذا ما عارضه المجددون، ففي مادة (أرب) مثلاً ذكر ابن منظور ثلاث لغات مختلفة، فقال: «و(الأُرْبَةُ): قِلادةُ الكَلْبِ التي يُقاد بها، وكذلك الدابَّة في لغة طيئ، ...، و(الأُرْبانُ)، لغة في (العُرْبانِ)، ...، و(الأُرْبُونُ) لغة في العُرْبُونِ»[٥١]، وبالرجوع إلى قطر المحيط لم نجد البستاني يذكر هذه اللهجات، أمَّا اللغات فقد ذكر ابن منظور في مادة (بهرج) عند كلامه على كلمة (بَهْرَج): «واللفظة معرَّبة،وقيل: هي كلمة هندية أَصلها: (نَبَهْلَهْ)، وهو الرديء، فنقلت إِلى الفارسيةفقيل: (نَبَهْرَهْ)، ثم عُرّبت: (بَهْرَج)»[٥٢]، وبالرجوع إلى قطر المحيط لم نجد البستاني يذكر هذه اللغة.

حذف مجموعة من الشواهد اللغوية: شاع في المعجم العربي استعمال الشواهد بمختلف أنواعها، الشواهد القرآنية أو القراءات أو الحديث النبوي الشريف أو الشعر أو الأمثال وغيرها، حتى بلغت مبلغًا في عدد من المعاجم، وهذا ما دعا المجددين إلى حذف مجموعة منها، وبالموازنة بين ما استشهد به ابن منظور وما ورد في قطر المحيط في موادَّ معينة، نلحظ الآتي:

- **الآيات القرآنية**: ذكر ابن منظور في مادَّة (طغي)[٥٣]، قوله تعالى: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقاها﴾ [الشمس١١] وقوله: ﴿دَعْواهُمْ فِيها سُبْحانَكَ اللهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ وَآخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ [يونس ١٠]، وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام١١٠] مرتين، وقوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة ٥]،

وقوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة١١]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ [النساء٥١]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء٦٠]، وقوله ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ [البقرة ٢٥٧]، وقوله ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنائِهِنَّ أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَواتِهِنَّ أَوْ نِسائِهِنَّ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور ٣١]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها وَأَنابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرى فَبَشِّرْ عِبادِ﴾ [الزمر ١٧]، في حين لم يذكر البستاني أيَّ نصٍّ من هذه النصوص.

- **القراءات القرآنية**: ذكر ابن منظور قراءتين لقوله: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾ [الكهف ٨٩]، فقال: «(ثمَّ اتَّبَعَ سببًا) بتشديد التاء، ...، وكان أَبو عمرو بن العلاء يقرؤُها بتشديد التاء، وهي قراءة أَهل المدينة،وكان الكسائي يقرؤُها: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾، بقطع الأَلف»(٥٤)، ولم يذكر البستاني أيَّة قراءة منها.

- **الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة**: ذكر ابن منظور في مادة (فرص) مثلاً عدَّة أحاديث، وهي «أَنَّ النبيﷺ قال: **إني لأَكْرَه أَن أَرَى الرجلَ ثائرًا فَرِيصُ رَقَبَتِه قائمًا على مُرَيَّتِه يضربها**»، و«**فجيءَ بها تُرْعَدُ فرائصُها**»، و«**أَنَّ جُوَيرية لها كانت قد أَخَذَتْها الفَرْصةُ**»، و«**رفَعَ اللهُ الحَرَجَ إِلاَّ مَن افْتَرَصَ مُسْلِمًا ظُلْمًا**»، و«أنه قال للأَنصارية، يَصِفُ لها الاغتسالَ مِنَ المَحِيضِ: **خُذِي فِرْصةً مُمَسَّكةً فتطهَّري بها**»، ولهذا الحديث روايات أخرى ذكرها، هي: (خُذِي فِرْصَةً مِن مسْكٍ)، و(قَرْصةً)، و(قَرْضةً)، ولم يذكر البستاني أيَّ حديث منها.

- **الشعر**: شاع في لسان العرب الاستشهاد بالشعر، حتى فاق جميع أنواع الشواهد اللغوية[٥٥]، وبالنظر إلى مادَّة واحدة فيه، كمادة (غمض)، نجده يورد (١٢) اثني عشر شاهدًا شعريًّا، وهي قول رؤبة:

أَرَّقَ عَيْنَيْكَ عَنِ الغِمَاضِ بَرْقٌ سَـــــرَى في عَارِضٍ نَهَّاضِ

وقول الشاعر:

أَصَاحِ تَرَى البَرْقَ لَمْ يَغْتَمِضْ يـَمُوتُ فُوَاقًا وَيَشْرَى فُوَاقَا

وقال الحسين بن مطير الأسدي:

قَضَى اللهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لسْتُ زَائِـلاً أُحِبُّكِ حَتَّى يُغْمِضَ العَيْنَ مُغْمِضُ

وقال أبو طالب:

هُمَا أَغْمَضا للـــقوْمِ في أَخَوَيْهِما وأَيْدِيهِما من حُسْنِ وصْلِهِما صِفْرُ

قال المتنخل الهذلي:

يَسُومُونَه أَن يُغْمِضَ النَّقْدَ عِنْدَها وقد حاوَلُوا شِكْسًا عليها يُمارِسُ

وقال أَبو النجم العجلي:

والشِّعْرُ يأْتِيني على اغْتِماضِ كَرْهًا وطَوْعًا وعلى اعْتِراضِ

وقال الشاعر:

إِذا اعْتَسَفْنا رَهْوةً أَو غَمْضا

وقال رؤبة:

بِلاَلِ، يَا ابنَ الحَسَبِ الأَمْحاضِ لَيْـــسَ بأَدْناسٍ ولا أَغْماضِ

وقالذو الرمة:

إِذَا الشَّخْصُ فِيْهَا هَزَّهُالآلُ أَغْمَضَتْ عَلَيْهِ كَإِغْمَاضِ المُغَضِّي هُجُـــولُها

وقال الشاعر:

والغَرْبُ غَرْبٌ بَقَرِيٌّ فارِضُ لا يَسْتَطيعُ جَرَّه الغَوامِضُ

قال كعب بن لؤيّ:

لئن كنتَ مَثْلُوجَ الفُؤادِ لقد بَدَا لِجَمْعِ لُؤيٍّ منكَ ذِلَّةُ ذي غَمْضِ

وقال أَبو النجم:

يُرْسِلُها التغْمِيضُ إِنْ لم تُرْسَلِ خَوْصاء ترمي باليَتِيمِ المُحْثَلِ

ولم يستشهد البستاني في مادَّة (غمض) بأيِّ بيت من هذه الأبيات أو من غيرها. هذه أهم ملامح الحذف الذي نجده في معجم (قطر المحيط)، ويتبين القارئ العزيز أنه أشبه بثورة على المعجم العربي القديم، في محاولة للتقريب، بحسب رأيهم، بين القارئ والمعجم.

٢. **الزيادة**: لم يقتصر منهج البستاني في قطر المحيط على الحذف من المعجم العربي، بل نجده يزيد عليه، وهو وجه آخر من وجوه الاستدراك، غير أن لهذه الزيادة ميزتين هما:

أ. اتفقت أغلب الزيادات الواردة في قطر المحيط مع ما في محيط المحيط.

ب. لم تصل الزيادات في حجمها إلى ما وصل الحذف.

ولما سبق أن ذكرت مواضع في الكلام على محيط المحيط، ارتأيت عدم إعادته، ولكن ما يمكن ذكره في هذا الموضع أننا نجد زيادات في قطر المحيط لا نجدها في محيط المحيط، إلاَّ أن هذه الزيادات لا تتعدى بعض المشتقات والأفعال المرافقة للمادة اللغوية.

٣. **التصرف**: أجرى البستاني بعض التصرف في مادة المعجم اللغوي، وإن لم تكن لافتة للنظر، كالتصرف في ترتيب بعض الألفاظ اللغوية في المادة الواحدة أو تغيير كلمة بأخرى، ولقلة هذا الأمر أرى أنَّه لم يرتق إلى أن يكون مظهرًا، لذا اكتفي بالإشارة إليه.

٤. **تفاوتت المعاجم العربية في عدد المواد اللغوية التي حوتها**، وهذا ملمح رائع من ملامح معجم التراث اللغوي، فهو وإن دلَّ على شيء إنما يدلُّ على أنَّ اللغة العربية لا يحويها معجم واحد، فبموازنة بين المواد اللغوية في العين، وهو أول معجم لغوي، والمواد اللغوية في تاج العروس، وهو خاتمة المتأخرين، نجد الفرق واضحًا وكبيرًا، ويعود هذا لأسباب ذكرتها الدراسات اللغوية الأخرى، ولكن هذا العدد الكبير من المواد اللغوية الذي نجده في لسان العرب أو تاج العروس لم يتساو في الاستعمال، فمنها الشائع ومنها القليل، فلمَّا أراد المجددون تصحيح ما في المعجم العربي رأوا حذف عدد من هذه المواد وزيادة أخرى يحتاجها الباحث المعاصر، ونجد هذا واضحًا في قطر المحيط، ففي (باب الهمزة فصل) مثلاً وردت في تهذيب اللغة (١٤) مادَّة، في حين ورد في قطر المحيط (٢٦) مادَّة، وبحسب المخطط الآتي:

ت	المادة	تهذيب اللغة	قطر المحيط
١	آب	×	❊
٢	أبأ	×	❊
٣	أبب	❊	❊
٤	أبت	❊	❊
٥	أبث	×	❊
٦	أبج	×	❊
٧	أبخ	×	❊
٨	أبد	❊	❊
٩	أبر	❊	❊
١٠	أبرز	×	❊
١١	أبرش	×	❊
١٢	أبرق( )	×	❊
١٣	أبز	×	❊
١٤	أبس	❊	❊
١٥	أبش	❊	❊
١٦	أبص	×	❊
١٧	أبض	❊	❊
١٨	أبط	❊	❊
١٩	أبق	❊	❊
٢٠	أبك	×	❊
٢١	أبل	❊	❊
٢٢	أبن	❊	❊

٢٣	أبنس	×	❋
٢٤	أبه	❋	❋
٢٥	أبو	❋	❋
٢٦	أبى	❋	❋

معجم أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد لسعيد الخوري الشرتوني (١٩١٢ م)

يعدُّ هذا المعجم ثالث معاجم مدرسة اليسوعيين، إذ وضعه مؤلفه في العام ١٨٨٩م ١٣٠٧هـ، وكان همُّه أن يضع كتابًا للطلبة، لذلك نجد منهجه يتسم بمظهرين من مظاهر التجديد، وهما: النقد والتيسير، لذا سأُحاول التركيز في هذا الموضع على مواضع النقد.

وضع الشرتوني معجمه على الخط الذي اختطه سابقه البستاني، وهو خط الاستدراك والنقد والتصحيح، وضمَّنه عدَّة مسارات يمكن أن نجعلها مسارات التجديد أو مظاهره في هذا الكتاب، وهي:

١. ذكر المصطلحات العلمية والكلم المولد والأعلام، وفي هذا الاتجاه متابعة لمنهج البستاني في محيط المحيط، إلاَّ في ذكر الأعلام.

٢. الاستدراك على لسان العرب وتاج العروس: ألحق الشرتوني في كتابه ملحقًا ذكر فيه مجموعة أمور منها أنَّه استدرك على لسان العرب وتاج العروس، وكان هذا الأمر عنده ذا أهمية، وأشار إليه أيضًا في مقدمته، فقال: «وقد ضممت إلى هذا المؤلف ذيلاً يتضمن ثلاثة أمور... والثاني: ذكر ما استدركته على

اللسان والتاج مما أخذته من كتب الثقات، أو من نفس الكتابين واردًا في غير مظانه»[٥٦].

نلحظ من هذا الاتجاه أمرين:

١. يمكن أن نعدَّ هذا الاتجاه مظهرًا من مظاهر التجديد، لأنه أخذ خطَّ الاستدراك.

٢. لم يكن الاستدراك ممَّا ألفَهُ المؤلف في اللغة الحديثة، وإنَّما أخذه من المصدر المستدرَك عليه أو من مصادر الثقات.

وذكر الشرتوني في ذيل كتابه ثلاثة أمور تخصُّ رؤيته حول المعجم، ولخَّص منهجه فيها فقال: «**الأول**: ما كنتُ قد أَهْمَلْتُهُ وذهلتُهُ من الكلم الوارد في كتاب أهل اللسان. **والثاني**: كل ما ندَّ عن التدوين ممَّا افتُلِتَتْهُ أقلام العلماء من أصحاب هذا الشأن، وهو الضوالُّ التي مَنَّ الله عليَّ باستدراكها على المتقدمين في العلم والزمان. **والثالث**: إصلاح ما أَدَبَّ إليه الاطمئنان إلى القاموس وغيره من الأغلاط اللغوية، وما قذفتْ إليه الغفلة البشرية»[٥٧].

الواضح ممَّا ذكره الشرتوني أنَّه أراد من الأمرين الثاني والثالث نقد المعجم العربي، من خلال الاستدراك على المتقدمين أو إصلاح الغلط الموجود في القاموس المحيط، وسأُحاول ذكر ملامح هذين الأمرين باختصار، وهما:

١. **الاستدراك على المتقدمين**: استدرك الشرتوني على المعاجم العربية السابقة مجموعة من الألفاظ التي وجدها في كتب المتقدمين، من ذلك قوله: «(المُتَسَاكِبُ)، بمعنى: (المنسكب)، قال في الصفحة ١٠٢ من الجزء العشرين من الأغاني: مَا بَالُ هَمِّك لَيسَ عَنكَ بِعازِب يَمري سَوابِقَ دَمعِكَ المُتَساكِبِ»[٥٨]. وقوله:

«(المُسَلَّفَاتُ)، بتثقيل اللام وتخفيفها: المعطاة سَلَفًا، (رسائل البديع، الصفحة ٥٦)، وهو ممَّا يؤخذ بالقياس»[٥٩].

٢. تصحيح الغلط الموجود في القاموس المحيط: كانت للشرتوني وقفة نقدية مع القاموس المحيط، إذ نجده يصحح ما ورد في القاموس في غير موضعه من المواد اللغوية، كقوله: «(اسْتَوْعَدَهُ استِيْعَادًا): طَلَبَ منهُ أن يَعِدَهُ (القاموس، في مادة (وأى))»[٦٠].

الآن صار واضحًا لدينا ملامح التجديد عنده، ولنا أن ندخل إلى مادّته اللغوية، وفي قراءة سريعة لهذا الكتاب أستطيع أن ألحظَ مظهرين من مظاهر التجديد، وهما:

١. تابع الشرتوني سابقه البستاني في حذف موادّ كثيرة ممَّا ورد في القاموس المحيط، ك: البقاع، والأعلام، والرد على الجوهري، والضبط بالوزن، والمصطلحات وغيرها.

٢. استعماله مجموعة من الرموز الكتابية، ويمكن أن نعدَّه أوَّل من استعملها، وهي:

- **الخط الأفقي**: استعمل الشرتوني هذا الرمز للإشارة إلى محل الصيغ المكررة، كقوله: «* سَكَّ * الباب ن يَسُكُّهُ سَكًّا: سدَّه. وضَبَّبَهُ بالحديد. والبئر: حَفَرَهَا. وأُذُنَيْهِ: اصطلهما. والنعامُ ما في بطنه: أَلْقَاهُ. وسَلَحَهُ: رَمَى به رَقيقًا»[٦١].
- **رموز أبواب الأفعال**: استعمل رموزًا للدلالة على أبواب الأفعال[٦٢]، وهي:

الباب	الوزن	العلامة
الأول	فَعَلَ يَفْعُلُ	ن
الثاني	فَعَلَ يَفْعِلُ	ض

الثالث	فَعَلَ يَفْعَلُ	ع
الرابع	فَعِلَ يَفْعَلُ	ل
الخامس	فَعُلَ يَفْعُلُ	ر
السادس	فَعِلَ يَفْعِلُ	س

- **النجوم**: استعمل علامة النجمة الصغيرة، إذ وضع صورة المادة التي يعالجها بين نجمتين، كقوله: «* نُغْنَغَ * أصابه داءٌ في نُغْنِغِهِ»(٦٣).

المعجم التاريخي

وهو من المعاجم المهمة في العصر الحديث، وكانت فكرة تأليفه من مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فقرر تكليف المستشرق فيشر بالإشراف عليه، ولكن الكتاب لم يكتمل، إذ توفي المشرف عليه ولم ينجز منه سوى المقدمة وحرف الهمزة. ترجع فكرة تأليف هذا المعجم لأمرين:

١. تصحيح ما كان في المعجم العربي القديم من المادة اللغوية.

٢. إكمال النقص الواقع في المعجم العربي القديم، لأنَّه «يتناول بقدر الإمكان بحث تاريخ كل الكلمات التي جاءت في الآداب العربية، مبتدئًا بالكلمة المنقوشة المعروفة بكتابة النمارة في القرن الرابع الميلادي ومنتهيًا بالعهد السابق ذكره [نهاية القرن الثالث الهجري، أي: حتى منتهى ما وصلت إليه اللغة العربية الفصحى من كمال]»(٦٤).

حاول فيشر في معجمه وضع شيء جديد للدارسين، فالخط العام له يسير باتجاه النقد والتصحيح، ويمكن تحديد اتجاهاته بما يأتي:

١. لم يذكر أسماء الأشخاص والقبائل والبلدان: أهمل فيشر ذكر أسماء الأعلام المختلفة بانتظام، وإنما يوردها في المواضع التي تحتاج إليه، كتبيين معنى اسم جنس.
٢. أهمل ذكر المشتقات الخاصة بالتصريف اللغوي، ك: صيغ الأفعال، واسمي الفاعل والمفعول، والمصادر وغيرها، ممّا لم يرد في وزنها معنى، أمَّا ما ورد في وزنها معنى كقولك: (حَاكِمٌ، وشَاهِدٌ، وعَامِلٌ) وغيرها، فقد ذكرها في موضعها.
٣. أسهب في الكلام على حروف المعاني والأدوات النحوية، فتوسع في ذكر الخصائص النحوية لها، على عكس ما نجده من الاختصار في المعاجم العربية، لذلك يجد القارئ في هذا المعجم كلَّ ما يساعده في فهم الكتب العربية.

ترتيب المادة

لم يقتصر التجديد في معجم فيشر على المنهج، بل نجده في ترتيب المادة المدروسة، إذ اتبع منهجًا واحدًا في جميع كتابه، فيبدأ أولاً بذكر الفعل المجرد للمادة المدروسة ويتبعه المزيد بحرف وبحرفين وبثلاثة أحرف، فيكون ترتيبه على النحو الآتي: (فعل، وفعّل، وفاعل، وأفعل، وتفعّل، وتفاعل، وانفعل، وافتعل، وافعلّ، واستفعل، وافعالّ) وغيرها، وحين ينتهي من ذكر الأفعال يبدأ بذكر الأسماء كلّها، المشتقة منها والجامدة، متبعًا في ترتيبها طريقته في ترتيب الأفعال، أي: يبدأ بالمجرد وبعده المزيد بحرف وبحرفين وبثلاثة أحرف وهكذا.

وبعد أن ينتهي من الكلام على اللفظ العربي، ينتقل إلى الكلام على اللفظ الأعجمي المعرب، فإذا كانت هذه الكلمات زائدة على ثلاثة أحرف، وتصرف العرب في لفظها، يذكرها مع الجذر العربي المقابل لها، فمثلاً:

- (إبريق)، تجدها في مادة: (برق).
- (دكّان)، تجدها في مادة: (دكن).
- (ديباج)، تجدها في مادة: (دبج).
- (أسوار)، تجدها في مادة: (سور).
- (سراويل)، تجدها في مادة: (سرول).

وهكذا ...

فإذا لم يتصرف العرب في لفظها جعل جميع حروفها أصلية، مثل: (إبريسم، وبنفسج، وسفرجل، وشطرنج) وغيرها.

شرح المادة

لا يخلو شرح المادة اللغوية (الجذر) من اللمحة الجديدة، إذ حاول أن يمزج بين اللغة العربية وبعض اللغات الأخرى، كالإنكليزية والفرنسية، فنجده حين ينتهي من شرح المادة يذكر شرحًا مختصرًا لها باللغة الإنكليزية والفرنسية[٦٥]، وجاء هذا المنهج لتوضيح المعنى وتحديده أكثر ممَّا لو اقتصر الشرح على العربية، فضلاً عن أنَّه يوفر للمستشرقين الذين لم يتمكنوا من العربية عونًا كبيرًا.

المعجم الكبير

ولد المعجم الكبير من رَحِم مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إذ وجد المجمعيون آنذاك أنَّ الحاجة ملحة لوضع معجم عربي كبير يجمع ألفاظ العلوم والفنون والآداب، لا يستغني عنه أحد من الدارسين، فصدر بهذا الأمر قراره[٦٦].

مزايا المعجم: انماز المعجم بعدَّة مزايا، وهي:

١. اتُّبِعَ التبويب الألفبائي في منهجه، ليضمن دقَّة الترتيب ووضوح التبويب، وهذا يمثل نقدًا للمعجم العربي الَّذي اتبع غير هذا الترتيب.

٢. حاول تصوير اللغة تصويرًا كاملاً، فيجد طلاب القديم حاجتهم، وطلاب الحديث ضالتهم فيه.

٣. يقدّم هذا المعجم جانبًا موسوعيًّا كبيرًا من خلال ألوان من العلوم والفنون والمعارف المختلفة[٦٧].

مظاهر التجديد في منهجه[٦٨]

اتُّبِعَ في تأليف هذا المعجم سياقٌ عامٌّ يختلف عمَّا عهده الدارسون في المعاجم القديمة، ويمكن تحديد مظاهره بما يأتي:

١. التفصيل في ذكر كلّ ما يتعلق بالحرف المدروس لغويًّا، لتكون مقدمة نافعة لدارسي العربية، وهو يختلف عمَّا نجده في المعاجم العربية القديمة، فمثلاً في حرف التاء يبدأ بذكر مرتبته في الحروف، ومخرجه وصفته، وقيمته في حساب الجمَّل، وبعدها يذكر ما يطرأ عليه من إبدال، والنسب إلى هذا الحرف، ومعاني زيادة التاء ومواضعها[٦٩]، وهذا مظهر من مظاهر التجديد في هذا المعجم، فلو أردنا أن نوازن بين ما ورد هنا وما ورد في تاج العروس، وهو آخر مدرسة المعجم القديم، نجد أن الزبيدي اكتفى في أوَّل باب التاء بذكر: صورة الحرف، وصفة صوته، وأشار إلى أنَّه يبدل كثيرًا، من غير ذكر مواضع الإبدال.

٢. ذكر الكلمات المستعملة وما يقابلها في اللغة الجزرية، مع تقريب الاستعمال الجزري بكتابته بالحرف اللاتيني ورسم نُطْقه بالحرف العربي، من ذلك:

«التَّابوت: في الحبشية: (tābōt تابوت)، وفي الآرامية اليهودية: (tēbūtā تيبوتا)، وفي العبرية: (tēbā تيبا)»[٧٠].

٣. اتبع في ترتيب المعاني طريقة خاصة أكثر تنظيماً ممَّا نجده في المعاجم القديمة، إذ يقدم دائماً المعنى الأصلي على الفرعي والحسي على المعنوي والحقيقي على المجازي والمألوف على الغريب وهكذا، من ذلك ما ذكره في مـادة (ج ب ب)[٧١]، وأنَّا تدلُّ على معنيين: القطع، وتجمع الشيء، وذكر بعدها ما استعمله العرب بمعنى القطع، كقولهم: (جَبَّ الشيءُ جَبًّا وَجِبَابًا)، و(جَبَّ السَّنامُ)، و(الإسلامُ يَجُبُّ ما قبله)، و(جَبَّ الغلامُ). نلحظ من هذه الأمثلة أنَّه تدرَّج من المعنى الأصلي إلى الفرعي، ومن الحسي إلى المعنوي، وبعدها سرد ما ورد من المعاني المجازية، كقولهم: (جَبَّ فلانٌ فُلانًا)، و(جَبَّه في القِرَى)، و(جَبَّتْ فلانةُ النساءَ حُسْنًا)، و(جَبَّتِ البِئْرُ)، و(جَبَّتِ الماشيةُ)، و(جَبَّ القومُ النَّخْلَ) وغيرها، وكل هذه الاستعمالات، وإن دلَّت في استعمالها على القطع، إلاَّ أنَّها تقاربه مجازًا، ومثله المألوف والغريب، لنَصِلَ إلى نتيجة هي: إنَّ كلَّ مادة في هذا المعجم هي رصد تاريخي لتطورها.

٤. اتبع طريقة واحدة في ترتيب مفردات المادة المدروسة، فالنظام العام للمادة أنَّه يقوم على تقديم الأفعال على الأسماء، فمثلاً في مادة (ح ب ج)[٧١] بدأ بذكر معاني الأفعال (حَبَجَ وأَحْبَجَ) بعدها ذكر الأسماء ومعانيها، وهي: (الحَبَاجُ، والحَبْجُ، والحَبَجُ، والحِبْجُ، والحَبِجُ، والحَوْبَجَةُ).

٥. اتبع طريقة واحدة في ترتيب المفردات في كلِّ قسم من أقسام الكلام، (الأسماء والأفعال)، فاتبع في ترتيب الأفعال تقديم الثلاثي على الرباعي، والمجرد على المزيد، واللازم على المتعدي، وفي الثلاثي المجرد رتَّب الأفعال بحسب ترتيب

أبواب الثلاثي المجرد الشائع في كتب الصرفيين[٧٢]، ورُتِّبَ المزيد بحسب حروف الزيادة، إذ قدَّم المزيد بحرف فالمزيد بحرفين فالمزيد بثلاثة أحرف، وكل هذه الأوزان خاصَّة بالثلاثي، وهو مقدَّم على الرباعي، الذي رتَّبَه بحسب أصله، فقدم المجرد على المضعَّف وبعدها المزيد، وختم ترتيب الأفعال بالمبني للمجهول.

٦. أهمل ذِكْر الكثير من المشتقات، إلاَّ إذا شاركتها في المعنى غير القياسي.

٧. استعمل الصور والرسوم التوضيحية والخرائط الجغرافية في المواضع التي تحتاج إلى توضيح، ومنها: صور الأشخاص، كما في الشكل (١)

وصور الحيوانات والحشرات، كما في الشكل (٢)

وصور النباتات، كما في الشكل (٣)

وصور الجمادات، كما في الشكل (٤)

والخرائط، كما في الشكل (٥)

٨. استعمل المعجم الرموز التوضيحية، وكما في المخطط الآتي:

الرمز	مدلوله
(*)	تسبق رأس الكلمة المفسرة
	لبيان ضبط عين المضارع بالحركة، أو الحركات التي توضع فوقها أو تحتها
(O)	للمادة الفرعية، تمييزًا لها من المادة الأصلية
و:	للدلالة على تكرار الكلمة لمعنى جديد
ج	لبيان الجمع
[ ]	يحصران بينهما تفسيرًا لما تقدمهما من لفظ غامض في كلام أو شعر
()	للإشارة إلى أن المعنى بالتفسير هو ما يليها، أما ما قبلها فقد ذكر لأنه مظنَّة الطلب لهذا التعبير

٩. يذكر مع كلِّ كلمة غير عربية لفظها باللغة الإنكليزية والفرنسية، كقوله: «* (الجَبْرِيَّةُ الجَبَرِيَّةُ): الجَبَرُوتُ. وفي الفلسفة: Fatalisme (F) Fatalism E»[٧٣]. أو أن يكون اللفظ مصطلحًا علميًّا، كقوله: «و(الجِبْلَةُ): الأصل والخِلْقَةُ والطبيعة ... و في علوم الأحياء: البروتويْلازمة Protoplasm»[٧٤].

١٠. استشهد بشعر الكثير من الشعراء المولدين والمحدثين حتى صار هذا الأمر واضحًا، ومن أمثلة ذلك استشهاده بشعر المولدين، ومنهم: ابن أبي حصينة السلمي (٤٥٧هـ)، إذ ورد فيه: «و(درب التبانة Milky Way) ... وقد ورد في الشعر العربي باسم (نهر المجرة)، قال ابن سناء الملك: وأَظمأُ إن أَبْدَى لِيَ المَاءُ مِنَّةً ولو كانَ لي نَهْرُ المجرَّةِ مَوْردا»[٧٥]، أو استشهاده بشعر المحدثين، ومنهم: حافظ إبراهيم، إذ ورد فيه: «(أَلَّهَ فُلانًا): اتَّخَذَهُ إلاهًا، و: عظَّمَهُ... قال حافظ إبراهيم: فَاذْكُرْهُما وَتَرَحَّمْ كُلَّمَا ذَكَرُوا أَعَاظِمًا أُلِّهُوا فِي الكَونِ تَأْلِيهَا»[٧٦].

هذه أهم مظاهر التجديد في هذا المعجم، ونلحظ أنَّها جديدة على المعجم العربي القديم.

المعجم الوسيط

هو محاولة أخرى من محاولات مجمع اللغة العربية بالقاهرة لوضع معجم عربي ينقذ الباحثين من صعوبة الرجوع إلى أغلب معاجم اللغة القديمة، وليكون مرجعًا وافيًا لهم، فابتدأ المجمع بتأليفه في العام ١٩٤٠م، وظل في خفائه حتى العام ١٩٦٠م، ليظهر في طبعته الأولى. يقوم هذا المعجم على الأسس الآتية:

١. تحقيق الكلمات المعربة وبيان صلتها بالكلمات العربية وأخواتها الجزرية، وردّها إلى أصولها ما أمكن.

٢. العناية بأسماء الأعلام، كأسماء الحيوانات والنبات والجغرافية، وشرحها شرحًا علميًّا وافيًا مشفوعًا بالرسوم التوضيحية والخرائط.

٣. التركيز على المصطلحات العلمية التي يكثر دورانها على ألسنة المتعلمين، وبحسب ما يضعه المعجم من مصطلحات(٧٧).

وبعد كلِّ هذا رأى أصحاب هذا المعجم أن يجددوا ما اعتاد عليه الدارسون في المعجم العربي، فأدخلوا فيه أشياء جديدة وحذفوا ما وجدوه زائدًا أو لا فائدة منه، ويمكن إجمال مظاهر التجديد في الأمور الآتية:

١. إهمال الألفاظ الحوشية الجافية، التي هجرها الاستعمال، لعدم الحاجة في العصر الحديث إليها.

٢. إهمال الألفاظ التي أجمعت المعاجم على شرحها شرحًا غامضًا.

٣. إهمال القياسي من المشتقات.

٤. إهمال الألفاظ المترادفة.

٥. إذا ورد الفعل على عدَّة أبواب أُهمِلَت الأبواب واقتصر على باب واحد، بشرط أن تكون الأبواب بمعنى واحد.

٦. اقتصر المعجم في ذكر المصادر على أشهرها، إذا كانت بمعنى واحد.

٧. الاهتمام باللفظ الحي المستعمل، ولاسيَّما ما يحتاجه الطالب والمترجم.

٨. الاهتمام بالألفاظ الحضارية المستحدثة والمصطلحات العلمية الموضوعية أو المنقولة أو المعربة من العلوم كافة، وما استقر من ألفاظ الحياة اليومية، بشرط أن يقرّها المجمع.

٩. اقتصر في استعمال الشواهد على ما تقتضيه الضرورة، واعتمد في التوضيح على الرسوم والصور.

١٠. اعتمد في ترتيب المواد اللغوية أو ترتيب المادة اللغوية لكل جذر على ترتيب المعجم الكبير.

١١. استعمل مجموعة من الرموز التوضيحية، فاشترك مع بعض المعاجم التي سبق ذكرها في مجموعة من الرموز، واستحدث مجموعة أخرى، والرموز التي استحدثها هي:

الرمز	الدلالة
مو	للدلالة على المولّد
مع	للدلالة على المعرب
د	للدلالة على الدخيل
مج	للدلالة على اللفظ الذي اقرّه مجمع اللغة العربية

... الخاتمة ...

بعد هذه الوقفة على أهم مظهرين من مظاهر التجديد في المعجم العربي وهما: النقد والاستدراك استطعنا أن نلحظ أهم مسالك التجديد، وقد خرجت بمجموعة من النتائج أهمها:

١. شاع التجديد في العصر الحديث حتى صار مظهرًا من مظاهر البحث اللغوي.
٢. اختلفت مناهج المجددين، فمنها ما شملت معجمًا بعينه ككتاب (محيط المحيط) الذي خصصه لمعجم القاموس المحيط للفيروز آبادي، ومنها ما اختص بظاهرة واحدة من ظواهر التجديد، كالتكملة أو الاستدراك أو التصحيح وغيرها.
٣. ظهور الحداثة بأنواعها كافة على المعاجم، كالمصطلحات العلمية والفنية أو الصور أو الأشكال والرسوم وغيرها.
٤. تعطيل عدد من الأصول المعجمية القديمة، ومنها الاستشهاد بشعر المولدين والمحدثين، كما نجده في المعجم الكبير.
٥. الخلط بين اللغات، ليكون المعجم لغويًّا وتاريخيًّا.
٦. تنقية المعجم العربي ممَّا يرَون أنَّه إثقال للمادة اللغوية، كتعدد الأوزان والصيغ والمشتقات وأسماء الأعلام واللغات واللهجات وغيرها.
٧. التقليل من استعمال الشواهد المختلفة، كالنصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية الشريفة أو الشعر وغيرها.

١. تناولت عدَّة كتب قديمة وحديثة مسألة نشأة النحو، ينظر تفصيلها في الحلقة المفقودة ٧-٢٥.
٢. ينظر: تاريخ الطبري ٣ / ٥٩٠ - ٥٩٧.
٣. ينظر: المعجم العربي ٢٥ - ٢٦.
٤. ينظر: ضحى الإسلام ٢ / ١٣.
٥. وهي مجموعة من السؤالات التي سألها نافع بن الأزرق لابن عباس، وقد حقق مخطوطتها الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي (رحمه الله)، وطبع في بغداد،١٩٦٨م.
٦. ينظر: المعجم اللغوي العربي في نشأته وتطوره ٢١ - ٢٢.
٧. مناقب الترك ٤٢ - ٤٣.
٨. ضحى الإسلام ٢ / ٢٦٣ - ٢٦٥.
٩. ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب ١٠١.
١٠. ضحى الإسلام ٢ / ٢٦٣ - ٢٦٤.
١١. ينظر تفصيل الكلام في هذين القسمين: الدراسات اللغوية عند العرب ١٠٣ - ١٤٢.
١٢. البحث اللغوي عند العرب ٨١.
١٣. ينظر تفصيل القول في هذه الدراسات ومناهجها: المعجم العربي ٣١ - ١٧٠، والدراسات اللغوية عند العرب ١٤٦ - ٢١٥.
١٤. ضحى الإسلام ٢ / ٢٦٤ - ٢٦٥.
١٥. معناها: الأسد، بلسان أهل الحبشة، ينظر: التفسير الكبير ٣٠ / ١٨٧، والدر المنثور ٨ / ٣٣٩، وتفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣٣٨٥.
١٦. ضحى الإسلام ٢ / ٢٦٥.
١٧. المعجم العربي بين الماضي والحاضر ٣٦.
١٨. المقدمة ٤٨٤.
١٩. ينظر تفصيل هذا في: مشكلات في التأليف اللغوي ١٦٥ - ١٧٢.
٢٠. الدراسات اللغوية عند العرب ٢٢٦، المعاجم العربية ١٨، والبحث اللغوي عند العرب ٨١، وأثر القرآن في تطور النقد العربي ١٥٣، والمعجم العربي بين الماضي والحاضر ٣٥ - ٣٦.
٢١. المعجم اللغوي العربي ١٩ - ٢٠.
٢٢. ينظر: رواية اللغة ١٠٣، والمعجم اللغوي العربي ٢٣ - ٢٤.
٢٣. يمكن لنا أن نرصد أكثر من مظهر في التجديد، ففضلاً عن النقد والتصحيح نجد المظاهر الآتية: التكملة، والتيسير، والمعجم المساعد وغيرها.

٢٤. المعجم العربي ٢ / ٥٦٨.
٢٥. الصواب: (زِدْتُ على).
٢٦. محيط المحيط (فاتحة الكتاب).
٢٧. محيط المحيط ٣٦ (برغز).
٢٨. القاموس المحيط ٢ / ١٦٤ (برعز).
٢٩. القاموس المحيط ٢ / ١٨٤ (فلز).
٣٠. محيط المحيط ٧٠٠ (فلز).
٣١. القاموس المحيط ١ / ١٣ (خجأ).
٣٢. محيط المحيط ٢١٨ (خجأ).
٣٣. القاموس المحيط ١ / ٧ (أجأ).
٣٤. محيط المحيط ٣.
٣٥. أي: اسم العلم (أسيد).
٣٦. القاموس المحيط ١ / ٢٧٢ (أسد).
٣٧. محيط المحيط ٩.
٣٨. محيط المحيط ٧٠٢ – ٧٠٣ (فند).
٣٩. محيط المحيط ٥١٤.
٤٠. محيط المحيط ٦٨ (تخت).
٤١. القاموس المحيط ١ / ١٤٤ (تخت).
٤٢. محيط المحيط ٥١٤ (صلب).
٤٣. المعجم العربي ٢ / ٥٧١.
٤٤. (فرضًا) خبر (كان) التي ذكرها أول كلامه.
٤٥. قطر المحيط (فاتحة الكتاب).
٤٦. قطر المحيط ٦٥.
٤٧. المصدر نفسه ٢٤.
٤٨. ينظر: لسان العرب (أزب).
٤٩. ينظر: تاج العروس (خطأ) ومن الجدير بالذكر أن هذه الصيغ واردة في تاج العروس بشكل أوسع، وبحسب تصرفات الألفاظ بين التعريف والتنكير، وأوجه الإعراب المختلفة وغيرها.
٥٠. استعملت مصطلح (اللغات) للدلالة على اللغات غير العربية، ومصطلح (اللهجات) على اللهجات العربية.

٥١. لسان العرب (أرب).
٥٢. المصدر نفسه (بهرج).
٥٣. ينظر: لسان العرب (طغي).
٥٤. لسان العرب (تبع).
٥٥. بلغت الشواهد الشعرية فيه اثنين وثلاثين ألف بيت شعر تقريبًا. ينظر: معجم الشعراء في لسان العرب ٢٣.
٥٦. وضع البستاني في هذه المادة كلمة (الإبريق)، وذكر الأزهري هذه الكلمة في مادة (برق).
٥٧. أقرب الموارد ١ / ٦.
٥٨. المصدر نفسه ٣ / ٤.
٥٩. أقرب الموارد ٣ / ٢٢٥.
٦٠. المصدر نفسه ٣ / ٢٢٧.
٦١. المصدر نفسه ٣ / ٤٣٨.
٦٢. المصدر نفسه ١ / ٥٢٨.
٦٣. ليس الشرتوني أوَّل من استعمل الرموز لأبواب الأفعال، إذ سبقه جبرائيل فرحات في كتابه (أبواب الإعراب)، ولكنه زاد عليه مجموعة منها. ينظر: المعجم العربي ٢ / ٥٧٥.
٦٤. أقرب الموارد ٣ / ١٣٢٤.
٦٥. المعجم العربي ٢ / ٥٨٧.
٦٦. يذكر فيشر في مقدمته أن عملية ذكر الشرح المختصر باللغتين الإنكليزية والفرنسية جاءت بقرار من مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
٦٧. ينظر تفصيل الكلام في قراره: المعجم العربي ٢ / ٥٩٠.
٦٨. المعجم العربي ٢ / ٥٩١.
٦٩. ذكر الدكتور حسين نصار وصفًا كاملاً لهذا المعجم. ينظر: المعجم العربي ٢ / ٥٩٠ – ٥٩٢، واستفدت منه فيما يخص مظاهر التجديد، وزدت عليه مظاهر وجدتها عند مطالعة المعجم.
٧٠. ينظر: المعجم الكبير ٣ / ٩ – ١١.
٧١. المعجم الكبير ٣ / ١١.
٧٢. ينظر: المصدر نفسه ٤ / ٢٣ – ٢٨.
٧٣. ينظر: المصدر نفسه ٥ / ١٧ – ١٩.
٧٤. أي: الأبواب التي انتظمت في الشعر التعليمي: فَتْحُ ضَمٍّ فَتْحُ كَسْرٍ فَتْحَتَان كَسْرُ فَتْحٍ ضَمُّ ضَمٍّ كَسْرَتَان.

٧٥. المعجم الكبير ٤ / ٣٧، ويقصد بحرف (F) اللغة الفرنسية، وبحرف (E) اللغة الإنكليزية.
٧٦. المصدر نفسه ٤ / ٤٧.
٧٧. المصدر نفسه ٣ / ٣٦ – ٣٧.
٧٨. المصدر نفسه ١ / ٤٤١.
٧٩. المعجم العربي ٢ / ٥٩٣.

المصادر والمراجع

١. أثر القرآن في تطور النقد العربي الدكتور محمد زغلول سلّام دار المعارف مصر ١٩٦١م.

٢. أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد سعيد الخوري الشرتوني اللبناني منشورات آية الله العظمى المرعشي النجفي إيران ١٤٠٣هـ. ق.

٣. البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثر والتأثير الدكتور: أحمد مختار عمر مطابع سجل العرب القاهرة ط ٦، ١٩٨٨م.

٤. تاج العروس من جواهر القاموس محمد بن مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) المطبعة الخيرية مصر ط ١، ١٣٠٦هـ.

٥. تاريخ الطبري المسمى (تاريخ الرسل والملوك) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف مصر ١٩٦٠م.

٦. تفسير ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي تحقيق: أسعد محمد الطيب المكتبة العصرية صيدا.

٧. تفسير الرازي المسمى (التفسير الكبير مفاتيح الغيب) أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت ط ١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٨. تهذيب اللغة أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) تحقيق: عبد السلام هارون دار الصادق.

٩. الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي الدكتور عبد العال سالم مكرم مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع الكويت ١٩٧٧م.

١٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) دار الفكر بيروت ١٩٩٣م.

١١. الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري محمد حسين آل ياسين دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر بيروت ط ١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠ م.

١٢. رواية اللغة الدكتور عبد الحميد الشلقاني دار المعارف مصر ١٩٧١م.

١٣. سؤالات نافع بن الأزرق إلى ابن عباس تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٨م.

١٤. ضحى الإسلام أحمد أمين دار الكتاب العربي ط ١.

١٥. القاموس المحيط مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م (طبعة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية ١٣١٠هـ).

١٦. قطر المحيط المعلم بطرس البستاني بيروت ١٨٦٩م.
١٧. لسان العرب أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١ هـ) دار صادر بيروت.
١٨. محيط المحيط المعلم بطرس البستاني مطابع تيبو برس لبنان ١٩٨٧م.
١٩. مشكلات في التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري الدكتور: رشيد عبد الرحمن العبيدي دار الجاحظ بغداد ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٢٠. المعاجم العربية الدكتور عبد السميع محمد أحمد دار الفكر العربي بيروت ١٣٩٣هـ ١٩٧٤ م.
٢١. معجم الشعراء في لسان العرب الدكتور ياسين الأيوبي دار العلم للملايين بيروت ط ١، ١٩٨٠م.
٢٢. المعجم العربي بين الماضي والحاضر الدكتور عدنان الخطيب مكتبة لبنان ناشرون، ط ١، ١٩٩٤ م.
٢٣. المعجم العربي نشأته وتطوره الدكتور حسين نصار دار مصر للطباعة القاهرة ط ٤، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨ م.
٢٤. المعجم الكبير مطابع دار أخبار اليوم القاهرة ط ١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٢٥. المعجم اللغوي العربي في نشأته وتطوره الدكتور إميل بديع يعقوب المؤسسة الحديثة للكتاب بيروت ط ١، ٢٠١١ م.
٢٦. المقدمة أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) دار القلم بيروت ط ٥، ١٩٨٤م.
٢٧. مناقب الترك أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) مطبعة التقدم القاهرة ط١، ضمن كتاب (رسائل الجاحظ).